المنظومة
ALMANDUMAH

العنوان:	ما زعم الفرزدق ولم ينقضه جرير
المصدر:	مجلة جامعة الملك سعود - الآداب
الناشر:	جامعة الملك سعود - كلية الآداب
المؤلف الرئيسي:	ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان
المجلد/العدد:	مج 17, ع 2
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2005
الصفحات:	229 - 264
رقم MD:	159085
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	الدواوين و القصائد، الفرزدق ، همام بن غالب ، ت. 110 هـ ، الشعر العربي، العصر الأموي، جرير بن عطية بن حذيفة ، ت. 110 هـ ، نقد الشعر، الشعراء العرب، العروض و القوافي
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/159085

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

www.mtenback.com

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان. (2005). ما زعم الفرزدق ولم ينقضه جرير.مجلة جامعة الملك سعود - الآداب، مج 17, ع 2 .264 - 229 ، مسترجع من 159085/Record/com.mandumah.search//:http

إسلوب MLA

ابن تنباك، مرزوق بن صنيتان. "ما زعم الفرزدق ولم ينقضه جرير."مجلة جامعة الملك سعود - الآدابمج 17, ع 2 (2005): 229 - 264. مسترجع من 159085/Record/com.mandumah.search//:http

© 2023 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

www.mtenback.com

مجلة جامعة الملك سعود، م١٧، الآداب (٢)، ص ص ٢٢٩-٢٦٤، الرياض (١٤٢٥هـ/٢٠٠٥م)

ما زعم الفرزدق ولم ينقضه جرير

مرزوق بن صنيتان بن تنباك

أستاذ،قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود

(قدم للنشر في ١٤٢٣/١٢/٢٣هـ، وقبل للنشر في ١٤٢٤/٧/٢٧هـ)

ملخص البحث. تناولت هذه الدراسة صمت جرير وعدم نقضه لما زعم خصمه الفرزدق لنفسه من مكمرة نسبها إلى جده. تلك هي إحياؤه للمؤودات، فقد كرر الفرزدق الفخر بهذه المكرمة ورددها في شعره بينما صمت جرير عنها ولم ينقض ما ادعاه الخصم، وما كانت تلك عادة جرير. لذا فقد حاولت هذه الدراسة طرح عدد من الأسئلة عن أسباب تجاهل جرير للوأد خاصة وعدم نقضه لما زعم خصمه، وحاولت الإجابة على ذلك.

يكاد يجمع مؤرخو الأدب العربي القديم على أن النقائض في العهد الأموي وثيقة تاريخية في علوم العرب، وأيامها وأنسابها وأحسابها، وأنه يصدق عليها المثل المشهور "الشعر ديوان العرب" فقد دون في سجل النقائض كل ما وعته الذاكرة الشعبية العريقة من الأحداث التي كانت للقبائل في جاهليتها والتي كانت لها في إسلامها.

ولم يكن هذا التدوين فقط لما حدث في التاريخ، أو لما وعته الذاكرة الشعبية، بل زاد فيه خيال الشعراء ومبالغاتهم، مما جعل الكم الهائل من الأخبار موضع نظر، ومظنة سؤال عن صدق ما قد قيل، أو ما قد يقال في هجاء الشعراء ونقائضهم.

www.mtenback.com

حملت النقائض الغث من الأخبار والسمين منها، والحق والباطل، والواقع الذي حدث، فضخمته ونفخت فيه، حتى بلغت به الخيال، وحملت الزيف الذي صنعه الخيال فأكدته، وكررته حتى صدقه من لا يعرف تاريخ العرب، أو من يريد أن يصدق ما يقال عنهم.

فكانت حصيلة هذه المعركة الأدبية الأولى في التاريخ الأدبي العربي - والأهم فيه - فضيحة كبرى، وسقوطاً أخلاقياً ذريعاً، لاسيما ما دار بين قطبي المعركة وفحليها الخالدين جرير والفرزدق اللذين سلطا لسانيهما، ومواهب الشعر لديهما على ما ورثه العرب، فوضعاه مادة للحديث، وغرضاً للتندر، منذ بدء التحامهما حتى وفاتهما في عام واحد في العام العاشر من المئة الثانية من تاريخ الهجرة، ارتكز محور جدلهما حول الذات، وامتد إلى كل ما له علاقة فيها، وجدَّ كل واحد منهما بنقض ما يدعيه الآخر، إن كان قد ادعى فضلاً في النسب، أو فخراً في العمل، أو ذكراً لمجد لا يقره، وغالط كل منهما صاحبه بما يذكر من عيوبه الشخصية وسلوكه، ووصل الأمر بهما إلى اختلاق أحداث لم تقع في الحقيقة والأصل، وبنيا عليها مواقف هجاء مقذعة، وكأنها حقيقة واقعية.

كان هذا حال الشاعرين اللذين صدق في وصفهما أبو عبيدة حين قال: "وهما بئس الشيخان، ما خلق الله أشأم منهما على قومهما، إنهما أخرجا مثالب بني تميم وعيوبهم، وكانا أعلم الناس بعيوب الناس، والناس يختلفون فيهما، وإنهما يتكلمون بالأهواء[1]. لقد فضحا العرب، وأظهرا عيوبهم، بل زادا فيها ما ليس منها، وما ليس لها.

---

١) أ بو ع بيدة، ة، *نقائض جرير والفرزدق*، (بغداد عن طبعة إبرايل، مدينة ليدن، تصوير مكتبة المثنى، ١٩٠٧م)، ص ١٠٤٩.

www.mtenback.com

وليس غرض هذه الصفحات الحديث عن هذه الفضائح التي حفلت بها النقائض، ما صح منها وما اختلق، وإنما الغرض هو البحث عمَّا غاب من هذه النقائض، وعما اختفى، ولم يرد له ذكر فيها، مع أنها أهم ما يجب أن يذكر، وأكثر ما فخر به أحدهما على الناس كافة وهو الفرزدق، ولم يكن الفرزدق صاحب دعوى واحدة في المفاخرة، بل له ولأسرته مفاخر كثيرة عَدَّدَها في شعره، وبالغ فيها كعادته، ونسب فيها لنفسه وقومه، وأهل بيته ما تجاوز الحدَّ فيه، مثل قوله[٢]:

وكم من أب لي يا معاوي لم يكن أبوك الذي من عبد شمس يقاربه

وإن كانت العرب تقرُّ لأسرته بالسؤدد وعلو المكانة الاجتماعية إلا أن هذا الادّعاء الباذخ - وهو حق يثبته التاريخ - لا يمكن أن يتجاوز به أحد الفخر على خلفاء قريش، وأسرة النبي التي ينتمي إلى عبد شمس، وقد نجد له ما هو أكثر من ذلك وأبعد من الفخر حين ينشدنا في شعره عن نفسه قائلاً[٣]:

وما ولدت بعد النبي وأهله كمثلي حَصَانٌ في الرجال يقاربه

وعن أبيه وجده يقول[٤]:

فذاك أبي وأبوه الـذي لمقعـــده حـــرم المسجد

ولم يكتف بذلك، بل ذكر أخواله، وعدد أقاربه وأصهاره في مثل قوله[٥]:

أنا ابن ضبة فرع غير مؤتشب يعلو شهابي لدى مستخمد اللهب

وقوله[٦]:

---

(٢) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، (بيروت، دار صادر، ١٣٨٦هـ-١٩٦٦م)، ص ٤٥.

(٣) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ٥٣.

(٤) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ١٧٣.

(٥) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٣٩.

(٦) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص١٥٨.

www.mtenback.com

خالي الذي غصب الملوك نفوسهم وإليه كـــان حباء جفنة ينقل

وأسرف في المبالغة في رفع النسب، والاعتداد بالحسب، حتى لا نكاد نجد قصيدة من قصائده - مهما قلت أبياتها - إلا مركز الحركة فيها والمعنى هو ما يردده من المفاخر بنسبه. ولو ذهبنا نحصي ذلك المعنى لجمعنا جلَّ شعره ومضمون ديوانه، ولكن الغرض هنا هو الاستشهاد بما هو معروف عنه، ولا ينكره أحد ممن عرف الفرزدق وأسرته، ومكانتها في قبائل العرب.

لكن هذا الرأي، وهذه الحقيقة لا تساوي مثقال ذرة عند خصمه جرير، حين تشتد الملاحاة والهجاء بينهما، فنسبه الباذخ لا يعدو - في رأي جرير - أنه قين، وابن قين، مكانه كسر البيت. وسنسمع ما يقول جرير أمام سلسلة المحامد التي يزعمها الفرزدق، وكيف وجد الخصم الطريق سهلة إلى نقض كل دعوى، وبهرج ما يقول في مطولات من الجدل الذي ردده في مقاطع كثيرة من قصائده ونقائضه.

كانت نقائض جرير تتبعاً لمزاعم الفرزدق، ينقضها ويلغي معناها، ويحول ما لا يستطيع إنكاره منها إلى ضد دلالتها الاجتماعية، مثلما فعل بمعاقرة سحيم بن وئيل الرياحي، وغالب أبي الفرزدق يوم أقرَّ بها، ولكنه جعلها مذمة وعاراً، بدل أن تكون محمدة ومناراً؛ فأفسد ما زعم الفرزدق، وغيّر ما اتفق العرب على المدح به والثناء عليه، فصارت في رأي جرير عملاً حقيراً لا يقوم به إلا حواشي المجتمع، وعبيد القوم، والقصاب الذي لا يحترم العرب له مهنة.

وسوف نقطتف أمثلة مما جاء على لسان جرير في هذا المعنى، وكيف تناول قضية المعاقرة، وأخذ يفند مزاعم خصمه.

فإذا قال الفرزدق مفاخراً بهذه المكرمة العربية[٧]:

---

(٧) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص١٠٩.

www.mtenback.com

ألم تعلموا أني ابن صاحب صوأر وعندي حساماً سيفه وحمائله

أو قال[٨]:

وصاحب صوأر وأبي شريح وسلمى من دعائم ثابتات

وقوله[٩]:

وما جـبرت إلا على عتب بها عراقيبها مذ عقّرت يوم صوأر

وقوله[١٠]:

أنا ابن العاقر الخور الصفايا بصوأر حيث فتّحتَ العكوم

رد جرير بمثل هذه الأبيات الساخرة الهازئة واللغة المستفزة القاسية بمثل قوله[١١]:

سبقتُ بأيام الفضال ولم تجد لقومك إلا عقر نابك مفخراً

وقوله[١٢]:

كما رام منّا القين أيام صوأر فلاقى حماما من حمام معجل

أو قوله[١٣]:

ولا يستوي عقر الكزوم بصوأر وذو التاج تحت الراية المتسيف

هذا الإقرار بمفخرة الفرزدق جعلها عيباً وعاراً لا يليق الفخر بها، ولا يصلح الادِّعاء بمدلولها. فلم تعد في رأيه أكثر من مقارنة بين محامد العرب وفضائلهم، وعقر الإبل

---

(٨) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص١٧٣ .

(٩) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ٣٨١.

(١٠) أبو الفرج الأصفهاني ، *الأغاني*، تحقيق: عبد الستار فراج ، بيروت، (دار الثقافة الطبعة الثالثة ، ١٩٧٥م).

(١١) جرير ، *ديوان جرير* ، (بيروت ،دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م)، ص ٨٩ .

(١٢) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ٣٦٨.

(١٣) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٢٩٦.

www.mtenback.com

التي هي من طبيعة الجزارين، والأمران لديه لا يستويان. ودعنا نسمع مزيداً من هذه النكاية فيه وفي معاقراته حين لا يجد إلا أن يعرض المقارنة بينه وبين خصمه، فيقول[١٤]:

فنورد يوم الروع خيلاً مغيرة وتورد ناباً تحمل الكير صوأرا

أو قوله[١٥]:

لقد سرّني أن لا تعد مجاشع من الفخر إلا عقر ناب بصوأر

ومثله[١٦]:

أنابك أم قوم تفض سيوفهم على الهام ثنيي بيضة المتجبر

أما السيف الذي عقر به فقد حوله إلى فاس تقطع به كرازم الجزور، وليس له أكثر من ذلك فضيلة[١٧].

وسيف أبي الفرزدق قد علمتم قدوم غير ثابتة النصاب

ومثله[١٨]:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عرقوب ناب بصوأر ولا تضربون البيض تحت الغماغم
عنيف بهز السيف قين مجاشع رفيق بأخرات الفؤوس الكرازم

وإذا فخرت تميم بماضيها وأمجادها فإن نصيب الفرزدق وقومه من الفخر في رأيه هو قوله[١٩]:

---

(١٤) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص١٨٨.

(١٥) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٢٠٨ .

(١٦) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٢٠٨ .

(١٧) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٣٠ .

(١٨) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٤٦٢ .

(١٩) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ١٠٣٢ الفرزدق.

www.mtenback.com

إذا عدَّت مفاخرها تميم فخرت بمرجل وبعقر ناب

ولا ينسى أن يكرر المقارنة، ويدلل على موضع المفاخرة الحقة [٢٠]:

تلك المكارم يا فرزدق فاعترف لا سوق بكرك يوم جوف أبال

ويقول[٢١]:

دعوا المجد إلا أن تسوقوا كزومكم وقينا عراقياً وقيناً يمانياً

هذا بعض ما جاء نقضاً لفخر الفرزدق في يوم صوأر، وهو كما ترى قلبا لما يريد الفرزدق من الفخر، ونقضاً لما يزعم من الفضائل.

أقر جرير بالمعاقرة، واعترف بها، ولم يستطع المراء فيها ولا إنكارها، فالتوى عليها يقلبَ معناها، ويرفض دلالتها الإيجابية لصالح الخصم، ويعطيها معنى مستنكراً اجتماعياً، وساقطاً في عرف القوم، فمشابهة الحال بين العقر في محامد العرب، والعقر لبيع اللحم والتكسب به هو المعنى السلبي المشترك في المعاقرة، وهو ما أراده جرير وأبرزه، وأخفى غيره وأنكره. وإذا احتج الفرزدق لخطأ ضربه بالسيف قائلاً[٢٢]:

وإن يك سيف خان أو قدر أبي وتأخير نفس حتفها غير شاهد
فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد
كذاك سيوف الهند تنبو ضباتها ويقطعن أحياناً نياط القلائد

جاء الرد سريعاً على لسان جرير قائلاً غير ذلك[٢٣]:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم
ضربت به عرقوب ناب بصوأر ولا تضربون البيض تحت الغماغم

---

(٢٠) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ٣٧٦.

(٢١) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٥٢ .

(٢٢) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ١٥٧ جرير.

(٢٣) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٤٦٢ جرير .

www.mtenback.com

عنيف بهز السيف قين مجاشع رفيق بأخرات الفووس الكرازم

وإذا قال الفرزدق[٢٤]:

وما نبا السيف من جبن ولا دهش عند الإمام ولكن أخر القدر

ما يعجل السيف نفساً قبل ميتتها جمع اليدين ولا الصمصامة الذكر

قال جرير[٢٥]:

لحا الله من ينبو الحسام بكفه ومن يلج الماخور في الحجل يرسف

ترفقت بالكيرين قين مجاشع وأنت بهـــز المشرفية أعنف

وإذا قال الفرزدق واصفاً رحلته وضلال قائده، وما لقيه الركب من الظماء وشدة القنوط حتى بلغوا اليأس، ووصف نفسه بالصبر والمجالدة على المهالك والأثرة لصاحبه بحقه من شربة ماء هي أغلى ما يملك وفخر بشعره وموقفه قائلاً[٢٦]:

ونحن بذي الإرطى يقيس ظماؤنا لنا بالحصى شرباً صحيح المقاسم

فلما تصافنا الإداوة أجهـشت إلى غضون العنبري الجـراضم

على ساعة لو أن في القوم حاتم على جوده ضنت به نفس حاتم

التقطها جرير وكان تعليقه عليها قوله[٢٧]:

ولما دعوت العنبري ببلـــدة إلى غير ماء لا قريب ولا أهـــل

ضللت ضلال السامري وقومه دعاهم فظلوا عاكفين على عجل

بلعت نسيء العنبري كـــأنما ترى بنسيء العنبري جنى النحل

(٢٤) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٢٩١ الفرزدق .

(٢٥) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ٢٩٧ جرير .

(٢٦) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٣٧٤ الفرزدق .

(٢٧) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٣٧٢ .

www.mtenback.com

وإذا خاطب الفرزدق ناقته مفتخراً بنفسه ومادحاً الخليفة وذاكراً مقدمه في مثل قوله[٢٨]:

إلام تلفّـــتين وأنت تحتي وخـــير الناس كلهم أمامي

متى تأتي الرصافة تستريحي من التهجير والدبر الدوامي

كان جرير بالمرصاد لكل زعم فردَّ في الحال[٢٩]:

متى تأتِ الرصافة تخز فيها كخزيك في المواسم كل عام

تلفّت وهي تحتك يا ابن قين إلى الكيرين والفأس الكهام

حتى الأمر الخاص والعلاقة العائلية لم تسلم من هذه المعركة الشرسة بين الخصمين. فعندما رثى جرير أم حزرة بأبيات عاطفية، ولغة إنسانية حانية، وموقف مؤثر في وفاتها لم يكن ذلك الموقف مانعاً من انقضاض الفرزدق بهجائه المرِّ عليها، وسبه وشتمه للأحياء والأموات في مثل هذه الأبيات[٣٠]:

كانت منافقة الحـــياة ومـوتها خزي علانية علـيك وعار

فلئن بكيت على الأثان لقد بكى جزعاً، غداة فراقها الأعيار

ويأتي جرير في موقف الرد هادئاً مطمئناً بعض الهدوء والاطمئنان، فيقول في اختصار العبارة[٣١]:

أفأم حـزرة يا فرزدق عبتم غضب المليك عليكم الجبار

وإذا ذكر الفرزدق بعض مغامراته في هذه الأبيات[٣٢]:

---

(٢٨) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٢٩٢ .

(٢٩) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ٤٠٦ .

(٣٠) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ٣٧٤ .

(٣١) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص١٥٦ .

(٣٢) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ٢١٢ .

www.mtenback.com

فلما استوت رجلاي في الأرض نادتا أحي يرجي أم قتـــيل نحاذره
هما دلتـــاني من ثمانين قامـــة كما انقض باز أقتم الريش كاسره
فقلت ارفعا الأسباب لا يشعروا بنا ووليت في أعجـــاز ليل أبادره

طارت سريعاً إلى حيث يعيش جرير، ويسمع ويرى، فيكون رأيه في ذلك غير رأي الفرزدق ، فيأتي الرد أو المعنى كما يريد جرير[٣٣]:

تدليت تزني من ثمانين قـامة وقصرّت عن باع العلا والمكارم
وما كان جار للفرزدق مسلم ليأمن قرداً ليله غـــير نائم
يوصل حبليه إذا جـــنّ ليله ليرقى إلى جـــاراته بالسلالم
أتيت حدود الله منذ أنت يافع وشبت فما ينهاك شيب اللهازم

وأما إذا اشتركا في أمجاد قومهما بني تميم وتدافع الشرف بينهما، وزعم كل منهما أن له الحق في ادِّعاء هذه الأمجاد وحيازتها إليه فإن الملاحاة تكون عليها شديدة مريرة، وتكون قوة الحجة بقوة منطق الجدل الذي اتسمت به معاركهما الأدبية. فتميم القبيلة الكبيرة التي ينتمي إليها الشاعران لها أيام وأحداث جسام في التاريخ، وكل منهما يريد أن يجعل من هذه الأيام والأحداث مادة فخر ومجد. فإذا قال الفرزدق[٣٤]:

فدى لسيوف من تميم وفي بهـــا ردائي وجلت عن وجوه الأهاتم
شفين حزازات النفوس ولم تدع علينا مقـــالاً في وفـــاء للائم

صال جرير بالحادثة نفسها وانتزع مجدها، وزيف ادَّعاء خصمه لها في مثل قوله[٣٥]:

---

(٣٣) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ٤٥٩.
(٣٤) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ٣١٠ .
(٣٥) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٤٦٠ .

www.mtenback.com

فغيرك أدّى للخليفة عهـده وغيرك جلّى عن وجوه الأهاتم
فإن وكيعاً حين خارت مجاشع كفى شعب صدع الفتنة المتفاقم
لقد كنت فيها يا فرزدق تابعاً وريش الذنابي تابع للقــوادم

وإذا قال الفرزدق[٣٦]:

إن الذي سمك السماء بنى لنا بيتاً دعائمـه أعز وأطــول
بيتاً بناه لنا المليك ومــا بنى حكم السمــاء فإنه لا ينقل
بيتاً زرارة محــتب بفــنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

كان الرد على شاكلة القول الآتي[٣٧]:

أخزى الذي سمك السماء مجاشعاً وبنى بناءك في الحضيض الأسفل
بيتاً يحمــم قينكــم بفنائه دنسا مقاعده خبيث المــدخل

ومثله قول جرير في نبو السيف[٣٨]:

أكلفت قيساً أن نبا سيف غالب وشاعت له أحدوثة في المواسم

فما يكاد يسمعه الفرزدق حتى يقلب المعنى، ويعيد الكرة فاخراً بأنه لا يقتل الأسرى[٣٩]:

فما نقتل الأسرى ولكن نفكهم إذا أثقل الأعناق حمل المغارم
فهل ضربة الرومي جاعلة لكم أبا عن كليب أو أبا مثل دارم

---

(٣٦) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ح٢ ، ص١٥٥ .
(٣٧) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ٣٥٧ .
(٣٨) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٤٦٢ .
(٣٩) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٣١٤ .

www.mtenback.com

ولم يترك جرير مقالاً أقر به الفرزدق أو ذكره في شعره إلا أضاف إليه مذمة، إن كان حمداً، أو زاده سوءاً إن كان من السيئات، مثل ذكره لَما حصل له من عمر بن عبد العزيز عندما قال الفرزدق[٤٠]:

وأوعدني وأجلني ثلاثا كما وعدت لمهلكها ثمود

فأخذ جرير ما أقر به الخصم، وجعل ذلك من أسباب النفي والإبعاد[٤١]:

نفاك الأغر ابن عبد العزيز بحقك تنفى عن المسجد

وشبهت نفسك أشقى ثمود فقالوا ضللت ولم تهتد

وتقصَّى أشعار الفرزدق في التصريح والتضخيم في أكثر ما نسب إليه، أو التلميح والإشارة في القليل النادر. من ذلك التلميح إيماءاته إلى ما جاء في شعر الفرزدق حين عَرَّض به عندما قال[٤٢]:

مددنا رشاء لا يمد لريبة ولا غدرة في السالف المتقادم

مشيراً إلى قول الفرزدق السالف في مغامرته الغرامية واستعماله الحبال ومدَّ الأرشية إلى غاياته حيث يقول[٤٣]:

فجاءت بأسباب طوال وأشرفت قسيمة ذي زور مخوف تراتره

أخذت بأطراف الحبال، وإنما على الله من عوص الأمور مياسره

إذا قلت: قد نلت البلاط تذبذبت حبالي في نيق مخوف مخاطره

أما النسب فهو مجال للمماحكة والنقض، فإذا فخر الفرزدق بنسبه وقال[٤٤]:

---

(٤٠) أبو عبيدة، *نقائض جرير والفرزدق*،ص ٧٩٨ .

(٤١) أبو عبيدة، *نقائض جرير والفرزدق*،ص ٧٩٨ .

(٤٢) أبو عبيدة، *نقائض جرير والفرزدق*،ص ٧٦٣ .

(٤٣) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٢١٢.

(٤٤) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ٢٤٣ .

www.mtenback.com

ولو سئلت من كفؤنا الشمس أومأت إلى ابني مناف عبد شمس وهاشم

فإن الجواب حاضر لدى جرير[٤٥]:

ذكرت بنات الشمس والشمس لم تلد وأيهات من حوق الحمار الكواكب

وإذا قال[٤٦]:

أنا ابن ضبة فرع غير مؤتشب يعلو شهابي لدى مستحمد اللهب

أو قال[٤٧]:

خالي الذي غصب الملوك نفوسهم وإليه كان حباء جفنة ينقل

جاء جرير يرد ذلك كله بقول[٤٨]:

وافخر بضبة إن أمّك منهم ليس ابن ضبة بالمعم المخول

أو قال[٤٩]:

وجئني بخالك يا فرزدق واعلمن أن ليس خالك بالغاً أخوالي

أما المحاور الأساسية في ترديد جرير لعيوب الفرزدق، وهي مجرٌّ جعثن، ومقتل الزبير، والقين وابن القين، فلم نرد ذكر شيء منها، وذلك لشيوعها في شعره ونقائضه التي تناولها جرير بالنقض لكل ما يقول الفرزدق، أو هجا بها أو ذكر معناها، وإنما نعمد إلى إحصاءات تقريبية لعدد ذكر كل محور من هذه المحاور الثلاثة.

---

(٤٥) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ٤٢ .

(٤٦) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٣٩ .

(٤٧) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص١٥٨ .

(٤٨) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٣٥٩ .

(٤٩) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ٣٧٨ .

www.mtenback.com

فقد ذكر جعثن وقصة جرّها من قبل بني منقر (١٧) مرة، وذكر جوار الزبير لمجاشع، وقتله وهو في جوارهم من قبل أبناء عمهم بني سعد أكثر من (١١٤) مرة؛ وردد القين وابن القين أكثرمن (١٥٣) مرة. وذكر مجاشعاً معيراً لها في أكثر من (١٦٧).

هذه المحاور الثلاثة كانت مرتكز نقائض جرير؛ عندما يعجز عن وجود ما يرد به على الفرزدق وهجائه فكان يعمد عندئذ إلى تضخيم ما يدعيه، ويبالغ في ذلك، وليس ذلك فحسب، لكنه يحرص على سماع شعر الفرزدق، وما يجد فيه من هفوات، فيتخذها سبباً فيما يقول عنه، ويحوّل ما أراد الفرزدق إلى عكس ما يريد نجد ذلك واضحاً في كثير من الأبيات التي أخذها من شعر الفرزدق، وحول معناها إلى ما يريد هو من أشياء قد تكون بعيدة كل البعد عما أراد الفزردق من شعره ذاك .وقد مثلنا بما يكفي شاهداً على ما نريد الحديث عنه.

مواضع ذكر الوأد عند الفرزدق

نعود إلى ما نحن بصدده، وهو الوأد، وما قال فيه الفرزدق. لقد ذكر الفرزدق الوأد في عدد من قصائده، وكرر ذلك على النحو التالي:

* **الموضع الأول في قوله**(٥٠):

فهذي حديا الناس فخراً على أبي أبي غالب محيي الوئيد وحاجب

وهي ستة أبيات يهجو فيها طيئاً – القبيلة المعروفة – ويطعن في أنسابها، ويشتم نساءها، وكان لهذه القبيلة مكانة كبيرة في البصرة، ومنها سادة عظماء، مثل عدي بن حاتم وغيره؛ وفي أبياته هجاء مقذع لها ونيل من حسبها ونسبها، كما في قوله:

وما علمت طائية من أب لها ولو سألت عن أصلها كل ناسب

---

(٥٠) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٤١ .

www.mtenback.com

هذا هجاء يندى له الجبين في أعراف القبائل العربية، عندما ينكر نسبهم، وهو يفخر عليهم بنسبه وحسبه، ويذكر الوأد في فخره، ويشير إليه، ثم سكت الطائيون عن هجائه ونيله منهم، ولم يتصد له أحد ينقض دعواه، وينتصر لقبيلته، وينقض ما يقول الفرزدق فيهم؛ ولو كان شعره معروفاً أو مشهوراً لما سكت الطائيون عن نقضه والرد عليه بما هو أشد من هجائه.

* الموضع الثاني في قوله[٥١]:

أنا ابن الذي أحيا الوئيد ولم أزل ... أحلُّ بهامات اللهاميم من مضر

وهي ثلاثة أبيات لا يذكر فيها أحداً بل يفخر بنفسه ونسبه.

* أما الموضع الثالث في قوله[٥٢]:

أنا بن عقال وابن ليلى وغالب ... وفكاك أغلال الأسير المكفر
وكان لنا شيخان ذو القبر منهما ... وشيخ أجار الناسَ من كل مقبر
على حين لا تُحيا البناتُ وإذهم ... عُكوف على الأنصاب حول المدور
أنا ابن الذي رد المنيةَ فضلةً ... وما حسب دافعت عنه بمعور
أبي أحد الغيثين صعصعة الذي ... متى تخلف الجوزاء والنجم يمطر
أجار بناتِ الوائدين ومن يجر ... على الفقر يعلم أنه غير مخفر
وفارقِ ليل من نساء أتت أبي ... تعالج ريحاً ليلها غير مقمر
فقالت: أجر لي ما ولدت فإنني ... أتيتك من هزلي الحمولة مقتر
هجف من العثو الرؤوس إذا ضغت ... له ابنة عام يحطم العظم منكر
رأي الأرض منها راحة فرمى بها ... إلى خدد منها وفي شرٍّ محفر
فقال لها: نامي، فإني بذمتي ... لبنتك جار من أبيها القنور

---

(٥١) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٣٣١.

(٥٢) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٣٧٩.

www.mtenback.com

وقد جاءت في عشرة أبيات من قصيدة طويلة عدد أبياتها ثلاثة وأربعون بيتاً يهجو بهذه القصيدة بني نهشل في معاقرة بينهم وبين جناب بن شريك بن همَّام بن صعصعة، ولم يتعرض بنو نهشل لنقض هذا الشعر والرد عليه وتكذيب ما يقول عنهم. وقد خصهم باللؤم والبخل في قوله:

فإنك قد أشبعت أبرام نهشل وأبرزت منهم كل عذراء معصر

ولو كنت حراً ما طعمت لحومها ولا قمت عند الفرث يا ابن المجشر

وسكتوا كما سكتت طيء قبل ذلك.

إن تعليل صمت المهجوين عنه هو أن شعره الذي يفخر به ويذكر الوأد ويهجو من هجا لم يكن مما يتداوله الناس ولا يعرفونه، وإنما جمع مع جمع الديوان من أفواه الرواة الذين حفظوا الشعر ولم ينتشر في حياة الفرزدق، وإلا لما سكت هؤلاء المهجوون عن هجائه والرد عليه بما يدفعون به عن أنفسهم وأحسابهم وأنسابهم.

* الموضع الرابع قوله يفخر على جرير ويتحداه بآبائه من مثل قوله المشهور[٥٣]:

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

وفي هذه النقيضة جاء قوله عن الوأد[٥٤]:

ومنَّا الذي أحيا الوئيد وغالب وعمرو ومنَّا حاجب والأقارعُ

وهو بيت من قصيدة طويلة عدد أبياتها تجاوز الثمانية والثلاثين وقد نقضها جرير في مثل قوله[٥٥]:

ونحن نفرنا حاجباً مجد قومه وما نال عمرو مجدنا والأقارع

---

(٥٣) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٤١٨ .

(٥٤) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص ٤١٨ ؛ وأبو عبيدة، نقائض الفرزدق وجرير، ١٩٠٧م، ص٦٩٧ .

(٥٥) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٢٩٣ .

www.mtenback.com

وإذا كان بنو طيء، وبنو نهشل ليس فيهم شاعر ينقض ما يقول الفرزدق فيهم - على فرض ذلك - وهو فرض بعيد، فما بال جرير - الخصم اللدود، والقادر على نقض كل ما يدعي الفرزدق - وقد كان ينقض معاني هذه القصيدة معنى معنى، وبيتاً بيتاً إلا الوأد والفخر به، فإن ذلك مما لم يتعرض له جرير ولم ينقضه، ولم يشر إلى فخره بهذه القضية. أيصح أن يعرف جرير دعوى الفرزدق، ثم لا ينقضها حقاً كانت أم باطلا، وهو الذي لم يقر لخصمه بأي دعوى ادّعاها وإن أقرَّ الناس له بها، فإن جريراً لا يقرُّ ذلك ولا يرضاه؟

* أما الموضع الخامس فقوله[٥٦]:

ومنّا الذي أحيا الوئيد ولم يزل أبيا على الأعداء أن يتهضما

وهو بيت من خمسة أبيات يفخر بنفسه، ولا يعرض لأحد في هذه الأبيات.

* والموضع السادس قوله[٥٧]:

أنا ابن الذي أحيا الوئيد وضامن على الدهر إذ عزت لدهر مكاسبه

وعدد أبيات هذه القصيدة خمسة عشر بيتاً، جاءت ضمن شرح النقائض، ولم تأت في المناقضات. وفي هذه القصيدة يطالب الفرزدق الخليفة معاوية بن أبي سفيان بإرث الحتات المجاشعي، ويفخر على الخليفة الذي يغضب له أكثر الناس - والشعراء منهم - ، وله من ينافح عنه ويتقرب إليه بما يرد به على الفرزدق ومع ذلك لم ينقض أحد على الفرزدق؛ فخره على الخليفة، وادِّعاءه أن جده يحيي الموءودات، وهو أمر سنقول عنه ما قلنا عن سابقيه. ذلك أن إحياء الموءودات قول لم يطلع عليه شعراء زمانه في حياته، مع العلم أن البيت الذي جاء في هذه القصيدة يذكر إحياء الموءودات لم يرد في أصل

---

(٥٦) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص٣٢٢ .

(٥٧) أبو عبيدة، *نقائض جرير والفرزدق*، ص ٦٠٩ .

www.mtenback.com

الديوان طبعة صادرة، وإنما ورد في التعليق على أصل القصيدة في النقائض بين جرير والفرزدق.

ومن هذه الأبيات جاءت أربعة في قصائد نقضها جرير، أو هي مما ضمته النقائض، بغض النظر عن البادئ، أجرير أم الفرزدق. وقد خلت النقائض من الإشارة إلى الوأد خاصة، بينما تضمنت نقض الأشياء الأخرى التي يدعيها كل منهما، وفصلت أيمًّا تفصيل في ذلك.

غرض الدراسة

ليس كل ما مرَّ معنا من ملاحاة وهجاء بين الشاعرين هو غرض هذه الورقة، ولا كل ما ذكر جرير أو الفرزدق هو ما نريد من هذه الدراسة، وإنما نريد البحث عن شيء غائب عند جرير في كل شعره، وحاضر عند الفرزدق في كل ما قال. شيء غاب لا يمكن تصور غيابه عن شاعر خصم عنيد، يبحث عن عيوب خصمه، ويتلقط زلات لسانه، ويصنع عليه من الكذب، ويختلق عليه من الأحداث ما لا يردعه عنه دين ولا خلق.

وذاك الغائب عن جرير وشعره، الحاضر عند الفرزدق وفخره، هو ما زعم الفرزدق من مفخرة أكثر الحديث عنها في الشعر، وجعلها ركيزة في الفخر، وتلقفها عنه أهل الأخبار والمذكرون والوعاظ، وبنوا عليها "ميثولوجيا" شعبية هائلة في تاريخ العرب كله، وليس في تاريخ الفرزدق وحده. تلك هي زعمه أن جده صعصعة بن ناجية أول من أحيي الموءودات، إذ جعل منها حدثاً مكرراً في شعره، وفخر بهذا الصنيع، وهو فخر ليس وراءه مطلب لفاخر، وغاية لا تبلغها غاية لو صحَّ الأمر له، كما زعم، وفضل ليس بعده فضل، لو صدق الفرزدق، أو حتى لو حدث الوأد الذي سجلت كتب السير الإسلامية صورة مظلمة له في تاريخ الجاهلية، وفي أذهان العرب وعقولهم.

www.mtenback.com

كما أن زعم الفرزدق هو مصدر هذا الظلام الدامس في أخلاق العرب، وكان أهل السير والوعاظ والمذكرون هم أوعيته وناشروه في الآفاق من مثل قوله[٥٨]:

ومنّا الذي منع الوائدا ت وأحيا الوئيد فلم يوأد

ومثله الأبيات التي مرت في صدر هذا الفصل.

السؤال؟

لكن بقي السؤال الذي ستصعب إجابته، وهو أين هذا الشعر عن جرير؟ أو لماذا سكت جرير عنه؟

وقد عرفنا جريراً يبحث عن الأوهام، ويختلق الأحداث لينال من الفرزدق، وينقض ما يقول، ويزيف ما ادَّعاه من الفضائل، وهي في مجملها أعمال لا تقدم شيئاً يتجاوز المألوف عند العرب من أمجاد ومفاخر، كانتصار في معركة، أو مكرمة في معاقرة، أو نسب لا قدرة لجرير في رده أو تغييره، ومع ذلك لم يستسلم لشيء ذكره الفرزدق، بل استطاع أن يدير معركة منطقية، وجدلاً قوياً، يلغي فيه بريق الفخر الذي كان خصمه شديد الاعتداد به، وقوي الحجة فيه، ويتناول أقوى حجج الفرزدق رسوخاً في عقول الناس، وأشدها في وجدانهم مثل المعاقرة المشهورة[٥٩]، أو النسب الرفيع الذي بلغ به الفرزدق مبلغ التحدي، ليس لقبائل العرب خاصة، بل تحدى قريشاً، وتجاوز نسب الخلفاء.

ومع هذا التجاوز، والإقرار والتحدي، استطاع جرير أن ينقض عليه فخره، وأن يجد سبيلاً إلى النيل من كل ذلك، بلغة ساخرة متهكمة قاسية لا تمنع حقيقة ما يدعي

---

(٥٨) الفرزدق، *ديوان الفرزدق*، ص١٧٣ .

(٥٩) قاسمت بنو تميم في البصرة غالباً أعطياتها اعترافاً بفضله عليهم وبما فعل من أمر يعدونه شرفاً لهم. انظر محمد أبو الفضل إبراهيم وآخران، *أيام العرب في الجاهلية* (بيروت، دار الجيل، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م)، ص ٤٠٥.

www.mtenback.com

خصمه عما يريد أن يقول فيه، ضارباً عرض الحائط - كما نقول اليوم - بما يعتقد العرب من صدق الادَّعاء، ووضوح الحجة.

أما ما هو دون ذلك من أشياء أرادها الفرزدق مدحاً، أو أتى عليها عرضاً في شعره، فقد كانت مادة سهلة لشعر جرير يقلبها كيف يريد، فيضع فيها ما يريد، ويقول فيها ما يشاء، لا يختلف هدفه، ولا يتغير طبعه، صدَّقه الناس أو كذَّبوه، عرفوا ما يبغي أو أظهروا خلاف ما يريد، فإذا كان هذا هو حال جرير، وكان هذا ديدنه منذ احتدمت المعركة بينهما حتى انتهت بموت الفرزدق قبله بأشهر معدودات.

إذن فأين جرير عن ادِّعاء لا يتعلق بشخص الفرزدق وأبيه وجده، ولا يقتصر على أسرته ونسبه، ولا يخص عشيرته مجاشعا، ولا قومه بني دارم، ولا حتى بني سعد، وإنما يعني تميماً كلها، والعرب عامة، لأن الفرزدق يفخر بمكرمة إنسانية عظيمة، ويرددها في كل مناسبة، وتصنع حولها الآراء والقصص، وتبنى عليها الروايات والحكايات؟

تُرى كيف نجد جواباً لصمت جرير المطبق عن هذه القضية بذاتها، وحديثه عن كل شيء يتعلق بالفرزدق إلا هي؟ يفخر الفرزدق على العرب كافة بإحياء جده للموءودات، ويكرر ذلك في قصائده، ويذيعه على الملأ، فلا يثير هذا المجد غضب الخصم اللدود، ولا يحرك غيرته، مما يقول خصم يريد أن يحطمه في كل مناسبة يتصدى لها.

سكتت كتب الأدب والتاريخ والسير عن صمت جرير، ولم يثر أحد هذا السؤال، بل لعل أحداً ممن اهتم بدراسة النقائض في كل عصورها لم ينتبه إلى هذه الجزئية من النقائض بينهما، فقد كانت لغة الضجيج غالبة وعالية وصاخبة في كل ما خلفه الشاعران من مهاجاة بلغت حدَّ العنف المتبادل، فصار الناظر إليها، والدارس لمضامينها

www.mtenback.com

يجد من النقائض بينهما ما يلهيه عن التفكير في تفاصيل المعركة الهجائية ومفرداتها، وتفاصيل أحداثها، وهذا ما حدث لمعد هذه الدراسة شخصياً، وهو دارس للأدب الأموي معنى به.

ومع كل ذلك فلم يتوجه إلى كل ما ذكر أحد الشاعرين عن الآخر، وظن أنه لم يزعم أحدهما فضلاً أو مجداً إلا كان الآخر له بالمرصاد، ينقضه ويهجوه بما زعم وبما فخر، وأنهما لم يتركا شيئاً إلا أتيا عليه.

وعندما عرض قضية الوأد عند العرب، وأراد دراسة أحداثها لم يخطر بباله أنها غير حقيقة واقعة، وإنما درسها بحثاً عن دوافعها. فلما فوجئ بانهيار أسانيدها ومصادرها الأساسية أمام البحث، عاد إلى النقائض، مركزاً على هذه الجزئية - وهي الوأد، وموقف جرير منه - فكان لا يجده، ولا يراه، فأجل النظر في الأمر، وذهب لصلب القضية برمتها. أي هل حدث الوأد عند العرب في الأصل قبل أن يبحث ما فعل صعصعة، أو ما فعل غيره.

وعندما وصل إلى شبه يقين أن الوأد لم يحدث في تاريخ العرب قبل الإسلام بالصفة التي وصف بها بعد الإسلام، وكما حكيت حوله القصص، عاد مرة أخرى إلى جرير، يتلمس منه عوناً، لا ليؤيد ما وصل إليه من أن العرب لم تئد البنات خاصة دون البنين، وإنما يبحث عنده عن إشارة أو رأي يدعم قول الفرزدق، ويصدق كتب الإسلاميين، ويعضد آراء الوعاظ والمذكرين الذين اتخذوا الوأد مسلمة لا يثيرون حولها حتى سؤال الاستشكال، لعله يجد عذراً، بل يلتمس مخرجاً يسير مع الناس كافة، فيما يقولون، وما يعتقدون، من إن العرب تئد بناتها. ولكن جرير خذله هذه المرَّة، وحمّله أكثر مما وصل إليه من قبل، ودفعه إلى بعض الثقة برأيه ونتائجه، وقراءاته لتراث العرب، وتاريخ الجاهلية التي خلت من دلائل ما يزعم الفرزدق، ومن أخذ عنه أو

www.mtenback.com

صدَّقه، لكن جريراً كان مثقلاً عليه في صمته وإغفاله، وقد حمل عبئاً ثقيلاً في دائرة البحث عن الجواب الذي يطمئن إليه الباحث أو تؤيده آليات البحث.

وأصعب ما واجهت هذه الدراسة كلها هو هذا الموقف من جرير. فكيف نجد له تفسيراً، وكيف يمكن أن يتجاهل جرير هذا الزعم، نحن نعتقد أنه لا يمكن أن يسكت عنه. فقد واجه مزاعم كثيرة من الفرزدق بقدرة فائقة في النقض والتزييف. ولم نجده يعجز عمّا يريد أن يقول في كل شعر قاله الفرزدق، وبعضه لا يكون فيه كثير فضل للفرزدق، إلا أن رغبة الغلبة، وطبيعة الانتقام لدى جرير تثير قدرة من التحفز للرد على ذلك، مهما قلت فائدته، فكيف بمحمدة الدهر، ومجد الدنيا عندما يزعم خصمه لنفسه أن جده يحيي المؤودات ويفخر بذلك على جرير، موجهاً اللوم إليه، وقاصداً غلبته وابتزازه.

وقد يقول قائل يبحث عن العلل إن سبب صمت جرير، وعدم نقضه قصة الوأد التي ادّعاها خصمه الفرزدق ورعاً وتقوى منه، إذ الأمر يتعلق بمعنى ديني، فقد ورد ذكر الوأد في القرآن، فتركها جرير ولم ينقضها إعظاما وتحرجاً. مثل هذا القول قد يخطر على بال بعض الناس الذين يخشون كشف الحقائق، أو حتى البحث عن الصواب.

ولكن على فرض حدوث هذه الخواطر، فسيكون الجواب عنها عرض بعض مواقف جرير القبيحة التي ارتكبها في سبيل الانتصار على خصمه، ولم يمنعه الإسلام والقرآن، ولم يمنعه تحرجه منها، مثال ذلك قذف المحصنات المؤمنات الغافلات الذي قرر القرآن تحريمه بقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْغَٰفِلَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ لُعِنُوا۟ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٦٠).

وعظَّم إثم القذف، وعاقب مرتكبه بأشد العقاب في الدنيا وفي الآخرة، ولم يمنع هذا كله جريراً من قذف جعثن أخت الفرزدق بأعظم ما نهى عنه القرآن وحرمه

(٦٠) سورة النور، الآية ٢٣.

www.mtenback.com

الإسلام، وهو القذف بالزنى للمحصنات المؤمنات، وهذا شاهد على ما يرتكب جرير من الموبقات نورده مختصراً، وقد أهملنا ما هو أقبح منه، مراعاة للذوق العام. يقول جرير[٦١]:

وعمران ألقى فوق جعثن كلكلا ... وأورد أم الغيل فيها وأصدرا
وباتت ردافي فنقر يكسعونها ... بكل قسوح يابس النعظ أعجرا
رأي غالب آثار فييشل منقر ... فما زال منها غالب بعد مهترا
بكى غالب لّما رأى نطفاً بها ... من الذل إذ ألقى على النار أيسرا

يقول جرير ذلك، وهو يعلم أنه قاذف لمحصنة مؤمنة كاذب فيما قال فيها، وكل من تعرض لقذفه جعثن شهد لها بالصلاح والتقوى، وهو نفسه يعلم أن قذفه لها بهتان عظيم، فلم يمنعه الورع، ولم يتحرج عن هذا البهتان العظيم، ولم تمنعه مروءته، ولا شيمته العربية من أن يصفها بالفجور بلغة مكشوفة قبيحة، يخجل المرء حتى من ذكر الشاهد منها، لما فيها من خروج عن الآداب الدينية والأخلاقية، ثم يأتي من يقول: إنه ترك نقض فخر الفرزدق بادّعاء إحياء جده للموءودات تحرجاً، وهو أمر حدث في الجاهلية على فرض صحة حدوثه، ولا يكون في نقض أمر حدث في الجاهلية إثم أو حرج على جرير، الذي لم يتحرج عن قول ما حرّمه الإسلام من القذف والكذب على خصمه.

صمتُ جرير، صار محور هذه الدراسة، وصارت إجابته إحدى معضلاتها، ولم يعد أمام الباحث إلا وضع الاحتمالات لهذا الصمت والتفسير لهذه القضية، والاستقراء الذاتي الذي تفيض به مجمل الروايات، وتوحي به من بعيد جداً بعض الاحتمالات قد لا يكون معه من الدليل إلا الاجتهاد بعد قراءة ما بني على الأحداث، وبعد الاطلاع على

---

(٦١) جرير، *ديوان جرير*، ص٤٧٩.

www.mtenback.com

طبيعة الحياة التي عاش كل من الخصمين أحداثها، ومعرفة حال الشاعرين، واحتمالات الإجابة التي لا يصرُّ الباحث على حقيقتها، لكنه يجتهد أن تكون منطقية وممكنة، وقريبة من واقع الحال عند معرفة المجال الاجتماعي، والإرث الثقافي، والوسط الذي نبتت فيه قصة الوأد، فربت فيه ونمت، وارتفعت مع الأيام حتى صارت كالحقيقة لا جدل فيها ولا ارتياب.

الاحتمالات

لو استطعنا ترتيب نقائض جرير والفرزدق ترتيباً تاريخياً لساعدنا هذا الترتيب على فرضيات قد تكون مهمة أو مقبولة لعدم ذكر جرير أو نقضه لقصة الوأد التي زعم الفرزدق لجده ونفسه، ولكن لم نستطع هذا الترتيب ولم يستطعه من درس تاريخ النقائض[٦٢]، وحاول أن يجتهد في ترتيب بعض أحداثها، والتمس تاريخ بدء المناقضة بين جرير والفرزدق، وإن كان بدء بعض القصائد معروفاً، لارتباطه بمناسبة معروف تاريخها أو ذكرها لأسماء بعض الولاة والخلفاء، وبعض الأحداث إلا أن ما يبعد هذا عن الفائدة في معرفة التاريخ الحقيقي للقصيدة هو أنها قد تشير إلى أحداث سابقة وبعيدة في التاريخ قبل إنشاء القصيدة نفسها؛ وبالتالي يصعب تحديد تاريخ النقائض، ثم ما تم بعد ذلك حتى نهايتها، وهذا كله غير متحقق.

وحتى لو اجتهد في وضع بعض المؤشرات على شيء من هذا الترتيب فإن الجزم به مستحيل. وقد حاول أحمد الشايب في كتابه تاريخ النقائض بعض المحاولة، ولكنه لم يستطع أن يجزم بما يقنع في هذا الجانب.

---

(٦٢) أحمد الشايب، *تاريخ النقائض في الشعر العربي* (مصر، مكتبة النهضة المصرية، ١٣٦٥هـ- ١٩٤٦م) ص ٢٦٩.

www.mtenback.com

لقد ورد ذكر الوأد عند الفرزدق سبع مرات في سبع قصائد من ديوانه مرت معنا قبل قليل، وتكرار هذا الذكر في عدد من القصائد أمر يثير الكثير من الأسئلة. فلا يمكن أن يعرف جرير زعم الفرزدق في الوأد وتنفجه به ثم لا ينقض دعواه، إن كانت صدقاً أو كذباً، لأننا عرفناه فيما ادّعى الفرزدق غير الوأد لا يقر له بشيء، وينكر ما يدَّعي خصمه، أو يغير معناه، ويلغي مراده، مثلما مرَّ معنا في أكثر من قضية، أراد الفرزدق أن يفخر بها، وأراد جرير أن يفسد عليه فخره. وهو معتد في نقضه. يزعم أنه[٦٣] " ما قال لي ابن القين بيتاً إلا وقد اكتفأته أي قلبته إلا قوله:

ليس الكرام بناحليك أباهم حتى تردَّ إلى عطية تعتل

فإني لا أدري كيف أقول فيها ".

فإذا صح هذا القول عن جرير - وهو نص عنعنه صاحب الأغاني - فإن الأمر يزيد موضع الإشكال، ويبهم علينا ما نريد البحث عنه فيما حدث من صمت جرير عن نقض دعوى الوأد التي كررها الفرزدق في شعره وفخر بها، وما لدينا ليس بيتاً، بل قصائد تكررت، ومفاخر ذكرت لم يقلبها جرير، ولم يعرض لها في ذكر أو خبر، وهو الذي نفى عجزه عمّا قال الفرزدق إلا البيت الذي استثناه من هذا الكلام.

لابد أن يلتفت البحث إلى طبيعة الفرزدق وحياته، ومقامه وصلاته بالناس، ويقارن ذلك بحياة جرير وطبيعته، ومقامه وصلاته بالناس أيضاً لبناء افتراض واحتمال قد يساعد في تفسير صمت جرير عن نقض هذه الدعوى وأول الافتراضات المحتملة هي ما يلي:

الأول

نجد في الأمر الأول اختلافاً ظاهراً بكل هذه المعطيات بين الشاعرين. فالفرزدق الذي عاش في بيئة حضرية دينية، وفي مصر من أمصار الدولة الإسلامية هي البصرة

---

(٦٣) أبو الفرج الأصفهاني، *الأغاني*، ص٣٤٩ .

www.mtenback.com

مدينته المفضلة. وغني عن الحديث مكانة البصرة في زمن الفرزدق، وصلتها والرابطة القوية بين بادية الجزيرة العربية وثغر المشرق الإسلامي الذي تفد منه وفود الإسلام، ويعيش فيها خليط من الناس من جميع الأجناس واللغات والألوان والثقافات، وما ينتج عن هذه الاتصالات من تلاقح ثقافي وفكري كبير بين سكان هذه المدينة، والقادمين إليها من الناس.

وما هو أبعد من ذلك أنه كانت للفرزدق صلة قوية ليس بعامة الناس في البصرة، بل هو على صلة وثيقة بالخاصة، بل بخاصة الخاصة من الوعاظ والمذكرين، وأهل السير والحديث، وهو، فيما نقل لنا من سيرة حياته، ملازم لحلقات أهم شخصية وعظية عرفتها البصرة في وقت احتدام النقائض، وعرفها المجتمع الأموي، وأثرها حي في تاريخنا الديني إلى يوم الناس هذا. تلك الشخصية هي شخصية الحسن البصري، وصلة الفرزدق به تفيض بها كتب الأدب، وسننقل بعضها مما يؤكد هذه الصلة.

يقول صاحب الأغاني: أخبرنا أبو خليفة عن محمد بن سلام قال: حدثنا عامر بن أبي عامر. وهو صالح بن رستم الخراز قال: أخبرني أبو بكر الهذلي: قال: إنا لجلوس عند الحسن إذ جاء الفرزدق يتخطى حتى جلس إلى جنبه، فجاء رجل فقال: يا أبا سعيد الرجل يقول لا والله، وبلى والله في كلامه لا يريد اليمين فقال الفرزدق: أو ما سمعت ما قلت في ذلك، قال الحسن: ما كل ما قلت سمعوا، فما قلت؟ قال: قلت[٦٤]:

ولست بمأخوذ بقول تقوله إذا لم تعمد عاقدات العزائم

وهو تضمين لمعنى الآية: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ وَلَـٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾[٦٥].

---

(٦٤) أبو الفرج الأصفهاني، *الأغاني*، ص٣٢٨.

(٦٥) سورة البقرة، الآية ٢٢٥.

www.mtenback.com

قال: فلم ينشب أن جاء رجل آخر فقال: يا أبا سعيد نكون في هذه المغازي فنصيب المرأة لها زوج أفيحل غشيانها ولم يطلقها زوجها؟ فقال الفرزدق: أو ما سمعت ما قلت في ذلك؟ قال الحسن ما كل ما قلت سمعوا، فما قلت؟ قال: قلت[٦٦]:

وذات حليل أنكحتنا رماحنا حلالا لمن يبني بها لم تطلق

وفي رواية أبي خليفة عن محمد بن سلام ومحمد بن جعفر قالا: أتى الفرزدق الحسن فقال: إني هجوت إبليس فاسمع، قال: لا حاجة لنا بما تقول: قال لتسمعن أو لأخرجن فأقول للناس إن الحسن ينهى عن هجاء إبليس، قال اسكت فإنك بلسانه تنطق، وهذا يدل على صلة وصداقة ومعرفة كل منهما بصاحبه.

أما الرواية الثالثة فقد روي أن الحسن قال للفرزدق: يا أبا فراس ما عندك إن كان ذلك؟ - أي الموت - فقال: يا أبا سعيد لله أحب إلى من سمعي وبصري، ومن مالي وولدي، ومن أهلي وعشيرتي أفتراه يخذلني؟ فقال الحسن: لا[٦٧].

والرواية الرابعة عن الكامل: أن الحسن والفرزدق التقيا في جنازة فقال الفرزدق للحسن: أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ يقولون اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس، فقال الحسن كلا، لست بخيرهم، ولست بشرهم، لكن ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال شهادة لا إله إلا الله منذ ستين عاما وخمس نجائب لا يدركن، يعني الصلوات الخمس.

فالحسن البصري سيد وعاظ أهل زمانه في البصرة، ومن تصدر منه الفتيا، ويأخذ عنه الناس، والفرزدق ملازم له قوي الصلة به، وهو يخلطه بنفسه، ويقربه من

---

(٦٦) أبو الفرج الأصفهاني، *الأغاني*، ص٣٢٨ .

(٦٧) محمد بن يزيد المبرد، *كتاب الكامل*، تحقيق: محمد الدالي ط١ (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م)، ص ١٥٢.

www.mtenback.com

مجلسه ،والفرزدق يقدر هذه الصلة حتى إنه لا يشهد على خاصة شؤونه إلا الحسن البصري، مثلما فعل عندما أراد طلاق زوجه النوار، فلم يقبل أن يشهد على طلاقها غير الحسن البصري وطلاب درسه[٦٨]، وليس الحسن فحسب، بل إن طلاب الدرس الديني، وحلقات الذكر أهل صلة به ومعرفة راسخة به وبشيخه الحسن، كما نجد في رواية الجاحظ عن أحد هؤلاء الذين يسميهم أهل المسجد، إذ يقول: قال شيخ من أهل المسجد: ما كنت أريد أن أجلس إلى قوم إلا فيهم من يحدث عن الحسن، وينشد للفرزدق [٦٩] وفي المعنى اللغوي، فإن الفرزدق مصدر لهؤلاء القوم، إذ ينقل عن يونس قوله "لولا شعر الفرزدق ذهب نصف أخبار الناس" [٧٠]. وحتى أبو هريرة – الصحابي المحدث المعروف – يجعله المؤرخون ممن وعظ الفرزدق، ونصحه وشجعه على عفو الله، وعدم القنوط من رحمة الله لما فعل[٧١]؛ وقد وصفه الخليفة سليمان بن عبد الملك قائلاً : "إنك مع شعرك لفقيه"[٧٢].

ما نريد أن نصل إليه من هذا كله أن الفرزدق يعيش بهذه الدائرة الدينية، وهو يعرف توجهاتها، وما يقبل في هذا الوسط من الأحاديث والأقوال التي لها صلة بمعاني الوعظ والتذكير ونظن أنه قد ألقى فيها بيته الأول في الوأد، مثلما ألقى بيتيه السابقين عند الحسن في أمر تقوم فيه أحكام فقهية لا تحتاج إلى فتوى الفرزدق وشعره، فوجدت فئة

---

(٦٨) أبو الفرج الأصفهاني، *الأغاني*، ص٣١٥ .

(٦٩) عمرو بن بحر الجاحظ ، *البيان والتبيين* ، تحقيق: عبد السلام هارون ، (بيروت: دار الجيل ، ١٣٦٧هـ – ١٩٤٨م) ، ج٣ ، ص٢٢٠.

(٧٠) عمرو بن بحر الجاحظ، *البيان والتبيين* ، ج١، ص٣٢١ .

(٧١) محمد بن يزيد المبرد، *الكامل* ، ج١ ، ص ١٥٤ .

(٧٢) محمد بن أحمد الأبشيهي ، *المستطرف في كل فن مستظرف* ، تحقيق: إبراهيم صالح ط١ (بيروت : دار صادر ، ١٩٩٩م) ج١ ، ص٢٢١ .

www.mtenback.com

الوعاظ والمذكرين أن ما قال يوافق ما تريد من معنى يفسر ظاهر الآية، أو وجدت ما تبحث عنه من تفسير للموءودة، مثلما وجد الحسن ومجلسه قبولاً لحكم المرأة غير المطلقة التي يصيبها الغزاة في الحرب.

ففي الروايتين لم يعلق الحسن بالرفض أو الإنكار، وإنما بالصمت وهو إقرار بما يقول الفرزدق. كما أن هذه الدائرة الضيقة التي دخل الفرزدق في تكوينها تستمتع بشيئين هما وعظ الحسن وشعر الفرزدق الذي يأتي بأخبار العرب. فإذا جاء بما يوافق ظاهره معنى الآية، وطابق ميل الوعاظ والمذكرين لوصف فضائل الإسلام وتقبيح أعمال الجاهلية التي كانت قبله، فذلك ما يريدون وما يسعون إليه، وما ينشرونه في مجالسهم؛ وقد كان ما يريدون وما يبحثون عنه.

الثاني

ما تضعه لنا رواية الجنازة وحديثه مع الحسن، وما رآه من موقف ديني صحيح يتلخص في كلمة التوحيد التي هي لا إله إلا الله والصلوت الخمس المنجيات، وحبه لله وقربه منه، واعتماده عليه، وهو ما وافقه الحسن عليه، وأظهر رضاه عنه، وقبول الرأي الديني فيه؛ مما يدل على معرفة الفرزدق لغة هؤلاء الناس الذين ينظرون في مفردات الوعظ والإرشاد، ويقبلون ما يوافق معنى هذه المفردات ودلالتها الدينية.

والفرزدق شاعر ملهم حركت هذه المواعظ فكره وأطرها في شعره فكانت في رأيي هي مصدر الوعاظ، ومرجع المفسرين.

الثالث

عند استعراض شعر الفرزدق في الديوان كله نجد أننا أمام شاعر يستظهر معاني القرآن، ومصطلحات الفقهاء في أكثر من قصيدة، وفي أكثر من موقف، وهو استظهار

www.mtenback.com

وعي ومعرفة ليست متكلفة أو مصطنعة، مثلما تكلف وتصنع في قصيدته التي هجا فيها إبليس، وحولها إلى اقتباس قرآني كامل.

هذه القصيدة نستبعدها من شواهدنا على حفظه للقرآن وفهمه لنصوصه فهماً واعياً، وسبب الاستبعاد أنه جاء بها متكلفاً هجاء الشيطان، وإنما نعني قصائده الأخرى التي ينشئها وليس في نفسه، ولا في نيته الحديث عن الإسلام أو القرآن، ولكننا نجد قصائده تنضح بمعاني قرآنية وفقهية عميقة اكتسبها بدون شك من صلته بوعاظ البصرة، وحلقات المذكرين فيها، الشيء الذي لا نجد مثله عند خصمه جرير، مع ما يذكر المؤرخون من عفة جرير وورعه وتقواه، وفسق الفرزدق ونزقه، وخشونة طبعه.

الرابع

إننا لا نختلف فيما نقلته لنا كتب الأدب والتاريخ التي تكرر أن الشاعر الفرزدق قد قدمه أبوه إلى علي بن أبي طالب على أنه شاعر وهو شاب يافع، فأشار علي على أبيه أن يعلمه القرآن؛ وقد تركت كلمة علي الكثير في نفسه بعد ذلك، حتى إنه قد قيد نفسه ليجمع القرآن، وأقسم ألا يفك قيده إلا بعد جمعه[٧٣] أي - حفظه - وهذه الرواية الأخيرة ليست موضع خلاف بين الناس، وقد بدأ مناقضة جرير، مشيراً إلى قيده لنفسه ونذره الذي نذره لحفظ القرآن بقوله[٧٤]:

ألا استهزأت مني هنيدة أن رأت ... أسيراً يداني خطوه حلق الحجل
لعمري لإن قيدت نفسي لطال ما ... سعيت وأوضعت المطية للجهل
ثلاثين عاماً ما أرى من عماية ... إذا برقت إلا شددت لها رحلي

---

(٧٣)) أبو الفرج الأصفهاني، *الأغاني*، ج٢١ ، ص٣٠٨ .

(٧٤) أبو عبيدة، *نقائض جرير والفرزدق*،ص١٢٧ .

www.mtenback.com

الخامس

إن مقام جرير في بادية اليمامة كان بعيداً عن الأمصار، وبعيداً عن الاتصال بالناس، ومؤثرات السياسة والثقافة الإسلامية التي كانت تعج بها البصرة والكوفة، وهذا البعد عن معترك الأحداث حال بينه وبين الفقهاء وأهل العلم ومعرفة ما يدور في حلقات دروسهم، وقد أدرك خطر هذا البعد أنصاره، فأمروه بالنزول إلى العراق، والانحدار إلى حيث معترك الأحداث مع خصمه الفرزدق كتب إليه بنو يربوع: أنت مقيم بالبادية وليس أحد يروي عنك، والفرزدق قد ملأ عليك العراق فانحدر إلى جماعة الناس فأشد بالرجل كما يشيد بك، فانحدر وأقام بالبصرة. فلذلك يقول[٧٥]:

وإذا شهدت لثغري قومي مشهداً آثرت ذاك على بني ومالي

السادس

ما تروي كتب الأدب: أن الفرزدق قدم المدينة، فنزل على الأحوص بن محمد بن الأقلح، فقال ألا أسمعك غناء، فأتاه بمغن يغنيه فكان مما غناه شعراً لجرير، فسأل الفرزدق لمن الشعر قيل لجرير؛ وغناه قافية أخرى، فسأل الفرزدق عن الشعر فقيل لجرير؛ وغناه ثالثةً فسأل لمن الشعر فقيل لجرير فقال: بعد أن سمع كل ذلك: ما أحوجه مع عفافه إلى خشونة شعري، وما أحوجني مع فسوقي إلى رقة شعره[٧٦].

وبهاتين الروايتين يتضح أن بعد كل من الشاعرين عن الآخر جعل معرفة كل منهما بما قال الآخر ليست كاملة أو تامة. ففي حال جرير كانت بنو يربوع: يرونه منقطعاً عن جماعة الناس ورواة الشعر، وقد طلبوا منه الانحدار إلى الناس لنشر شعره وإظهار موقفه من خصمه، وهذا يعني أن شعره بعيد عن حركة المجتمع في هذا المصر. وفي الرواية

---

(٧٥) أبو على القالي، *الأمالي*، تحقيق: محمد عبد الجواد الأصمعي، (بيروت:دار الكتاب العربي) ج٣ ، ص٤٢ .

(٧٦) محمد بن يزيد المبرد، *الكامل* ، ج٣ ، ص٨١٦ .

www.mtenback.com

الثانية يظهر جهل الفرزدق لشيء كثير من شعر جرير، وهو شعر مغنى قد وصل إلى أهل المدينة، فعرفه الناس، وغنى به المغنون، وانتشر هذا الانتشار، ولم يسمع به الفرزدق من قبل. والرواية تجعل ذلك في أكثر من قصيدة مغناة لم يسمع بها الفرزدق قبل قدومه المدينة.

ما نريد أن نقول في هذه الحال هو أن الفرزدق عاش في هذا الوسط الثقافي الديني، الذي يختلف عن الوسط الثقافي الديني الذي عاش فيه جرير، وإنه ألقى بيته أو حتى أبياته كلها في تفسير الوأد، وأعلن فخره بما زعم أن جده صعصعة قد فعله، فتلفقها هذا الوسط الوعظي، ووجد فيها تطابقاً بين ما يدعي الشاعر وظاهر الآية في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴾ (٧٧)؛ فذاعت رواية أبيات الوأد في كتب المفسرين والمذكرين، واقتصر الحال على روايتها عند عرض الشاهد فيها، وهو تفسير الآية.

وهذا التفسير لا يمكن أن ينتشر بسرعة، فيعرفه عامة الناس الذين ينقلون الأخبار إلى جرير، لينقض ما يقول الفرزدق فيه. ومعلوم أيضاً أن الشعر الذي وصل إلينا لكلا الشاعرين هو شعر انتقل بالرواية وليس بالتدوين، وأنه نقل عن أحفاد الشاعرين، وعن رواتهما، وبعد موتهما وانقطاع الاتصال بينهما.

فجمع الشعر على العادة المعروفة، وهو أن يجمع ما دار من الشعر وما نسب للفرزدق، ويجمع ما دار من الشعر وما نسب لجرير في كل مكان وعلى كل لسان، ويوضع في مكان من الديوان.

ولهذا السبب جمع الشعر، وتواردت الروايات بنقله، مع احتمال أن كلا الشاعرين لم يحط بكل شعر قاله الآخر، إذا لم يكن هذا الشعر متعلقاً به، أو مشهوراً معروفاً، ينقله الرواة ويذيعه الناس في مواقف الفخر والمباهاة، ويستحيل أن يسمع جرير

---

(٧٧) سورة التكوير، الآية ٨.

www.mtenback.com

زعم الفرزدق في هذه الأبيات ثم لا يستوقفه ذلك، ولا يثير اعتراضه على ما يدعي خصمه؛ ذلك هو ما نجزم بعدم حدوثه.

أما كيف قال الفرزدق كل ما قال، ونقل عنه كل ذلك القول، وتحدث الناس عنه، وتردد على ألسنة العامة والخاصة، ثم لا يعرف جرير عنه شيئاً، فأمر يظهر في غاية الغموض والاختلاف. وما نراه هو أن الشعر في حياة الشاعرين لم يكن بهذا الانتشار والسيرورة، ولا سيما شعر الفرزدق الخاص، الذي يدور في حلقات الوعظ واللغة، إذ إن مثل هذه الأشعار محدودة الرواية والتداول، وقد خفيت على عامة الناس، وانتشرت في حدود ضيقة بين الخاصة من القراء، الذين ليس لهم اهتمام بنقائض جرير والفرزدق القبلية والعصبية، فتوارت عن الرواة الذين يهتمون بالأنساب والعصبيات، وظهرت في تفاسير المفسرين، وتداولها أهل النظر في نصوص القرآن.

وعندما تم جمع شعر كل منهما جاءت هذه الأبيات والقصائد؛ وهذا الجمع تم بعد وفاة الشاعرين، بل تم في عصور متأخرة جداً، إذ نجد أن عمدة المفسرين في تفسير آية الوأد، قد جاءت معتمدة نص بيت الفرزدق المشهور عندهم: "أنا ابن الذي أحيا الوئيد". وكان جمع شعر الشاعرين وتدوينه في القرن الثاني الهجري بعد أن انتشرت كتب اللغة والتفسير والوعظ الديني.

ومن الطبيعي في هذا الزمن المتأخر أن يجمع كل ما نسب للفرزدق من جميع الأمصار، وأن توضع الأبيات في القصائد التي تتفق رويا وقافية، وهذا الأمر تم في صناعة ديوان الشاعرين، وهو منهج معروف لدى مورخي الأدب، الذين يجمعون شعر الشاعر بعد زمن من وفاته، فيضم كل نوع إلى نوعه، وينظّم الشعر، ويعاد ترتيب القصائد، ويدخل فيها أو في بعضها ما يوافق معناها وبحرها ورويها.

www.mtenback.com

وقد جمعت أشعار الفرزدق، وجمعت أشعار جرير بعد قرن من الزمان من تاريخ وفاتهما؛ وما بين أيدي الناس من هذه الدواوين والنقائض هو صناعة متأخرة للشعر، وجمع له من أفواه الرواة والنقلة، الذين حفظوا الشعر عن رواة ونقلة آخرين، حتى وصل الأمر إلى مرحلة التدوين.

ولا يمكن أن نجد احتمالاً غير هذا إلا إذا بعد بنا الشك، وأخذنا بمدِّ قضية الانتحال، وجعلنا الأبيات المنسوبة للفرزدق من انتحال أهل التفسير وصناعتهم، أرادوا أن يفسروا بها الآية الكريمة، فنحلوا الفرزدق الشعر، ونسبوه إليه بعد وفاته، ووفاة جرير.

وهذا الاحتمال بعيد الوقوع، وإن كان حدوثه مما يمكن قبوله، لاسيما إذا عرفنا طبيعة الشعر، وتداول روايته، والزيادة فيه والنقص، مع مكانة الفرزدق وشهرته، واتساع دائرة المعجبين بشعره، وقبولهم ما ينسب له، وما يذكر عنه، ذلك احتمال ممكن، لاسيما إذا عرفنا أن المفسرين والنحاة قد يبحثون عن الشاهد لما يعترضهم من نصوص لا يعرفون معناها، وينحلون العرب الشعر الذي يختارونه شاهداً لما يذهبون إليه.

وقد نحل بعض المفسرين العرب شعراً يستشهد به على أن الجزء في آية الزخرف ﴿ وَجَعَلُوا لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴾ (٧٨) هو الأنثى من الولد وجاؤوا بأبيات نحلوها العرب، يريدونها شاهداً على قولهم وما زعموا؛ فقالوا:

إن أجزأت حرة يوماً فلا عجب قد تجزيء الحرة المذكار أحيانا

وقولهم:

زوجتها من بنات الأوس مجزئة للعوسج للدن في أبياتها زجل

(٧٨) سورة الزخرف، الآية ١٥.

www.mtenback.com

ولكن تصدى لهم أحد المفسرين - وهو الزمخشري - فقال: من بدع المفسرين تفسير الجزء بالإناث، وادِّعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث، وما هو إلا كذب على العرب، ووضع مستحدث منحول، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت المرأة؛ ثم صنعوا بيتاً وبيتا.

إن أجزأت حرة يوماً فلا عجب قد تجزيء الحرة المذكار أحيانا

وشكك ابن منظور بصحة الشعر وقال: ولا أدري البيت هو قديم أم مصنوع[٧٩]. ومع أن هذا الشعر فاسد لا يشك بفساده من يعرف الشعر، وبأنه منحول مختلق مصنوع للاستشهاد على أن الجزء يعني الأنثي، لا يقبله من له معرفة بأساليب الشعر ومعانيه، إلا أن صاحب أضواء البيان مال إلى أن سياق الكلام دال على المعنى[٨٠].

فإذا صنعوا شعراً يكذبون به على العرب - كما قال الزمخشري عنهم -، فليس بمستبعد أن يصنعوا شعراً ينسبونه للفرزدق، مع أن الشعر المنسوب للفرزدق في معنى الموءودة شعر قوي رصين يشبه شعر الفرزدق، ولا قال تلك الأبيات إلا شاعر عظيم هو الفرزدق نفسه، أو من هو مثله قدرة على الشعر.

والاحتمال أن معنى الموءودة أمر خطر في ذهن الفرزدق، كما خطرت الأبيات التي مرت له في مجلس الحسن، فقدحوت فكرته أمر الوأد، وزعمه وكرره في شعره، فاستحسن الوعاظ والمذكرون، وأصحاب السير والمؤلفون هذا المعنى لمطابقته ووصف ما ظنوا أن الآية عنته، فسارت بهذا المعنى كتب المفسرين إلى يومنا هذا.

---

(٧٩) انظر تفسير الآية في *أضواء البيان*.

(٨٠) انظر تفسير الآية في *أضواء البيان*.

www.mtenback.com

Assumption of Al-Farazdag

Marzook Bin Snethan Bin Tinbak

Professor, Department of Language and Literature,
College of Arts, King Saud University
(Received 23/12/1423H.; accepted for publication 27/7/1424H.)

Abstract. This paper deals with Assumption of famous poet al-farazdag when he said that his grandfather gave life for girls whom their fathers intend to bury them after their Birthday. A habit which some Arabs might have done in the pre-Islamic era.

His contemporary and component famous poet Jarir denies every thing that Farazdag said. In the book of polemic poems (Nak,td). Jarir denies everthing except what farazdag has stated proudly regarding his grandfather.

This study presents several questions in order to find out why Jarir did not speak out on his matter? Is there any reason behind his negligence of this matter?

Usually Jarir denies all of Farazdag says even when it is an accomplished facts.

www.mtenback.com